

أثر جهود علماء الحديث النبوي في تلمسان على المشرق الإسلامي)

د. شفاء علي الفقيه

الجامعة الأردنية . عمان

لقد توجهت جهود المسلمين في أنحاء المعمورة كافة، منذ بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى خدمة الدين والاشتغال بعلومه، التي أخذت بالنضوج جيلا بعد جيل فلم يخلو مصرا من الأمصار الإسلامية إلا وكان أهله ممن قدموا طاقاتهم وإمكانياتهم لخدمة علوم الدين من قرآن وحديث وسيرة وتاريخ ولغة وغيرها من العلوم التي أسسها المسلمون وأنضجوها وصنفوا لها التصانيف الكثيرة وقاموا بالرحلة في سبيلها.

وقد كانت جهود الصحابة في نشر هذا الدين العظيم وانتشارهم في الأمصار المفتوحة، النواة التي دفعت كل من دخل إلى الإسلام لفهم أحكام الدين وشرائعه، فيسر الله لهذه الأمة في كل مصر من أمصارها طائفة خرجوا ليتفقهوا في دينهم ويعلموا قومهم.

وقد كان نصيب كل مصر من الأمصار المفتوحة يختلف عن الآخر في حرص أهل بلده على طلب العلوم؛ وذلك تبعا لظروف الفتح الإسلامي وزمانه واستقرار الأوضاع السياسية والأمنية فيه. وقد كان هناك فضل للمشرق والمغرب على حد سواء في حفظ هذا الدين وحفظ علومه، فكما كان علماء المشرق حريصين على خدمة دينهم والاشتغال بعلومه، لم يقل أهل المغرب عنهم في ذلك، بل كان لكل منهم الجوانب التي تميزوا بها وأبدعوا فيها.

وتعتبر الجزائر بما فيها من مدون وحواضر تاريخية كتلمسان و بجاية ووهران من أهم بلاد المغرب الإسلامي والذي تشكلت فيه تربة خصبة للثقافة والحضارة، وازدهار مختلف العلوم فيه،

ويتفق الكثير من المؤرخين على وجود غزارة وتنوع في التراث الثقافي الجزائري؛ تنوع شمل مختلف العلوم وارتقى بالأمة وأبنائها، ولكنه لم يلق العناية اللازمة التي تليق بحجم هذه الانجازات.

وقد كان لهذا التراث الجزائري جذوره التاريخية الثقافية والحضارية في المشرق والمغرب والأندلس، وكان له دور في الحركة العلمية والنهضة العلمية على مر القرون. كما كان هناك ثلة من العلماء الجزائريين ممن كان لهم عطاء علمي وجهود أفادوا بها في الديار المشرقية، كما هو الحال مع العلماء المغاربة الذين أثروا الأمة بعلمهم وفكرهم ومصنفاتهم.

ومن العلوم التي نالت من الاهتمام وبذلت فيها الجهود علم الحديث النبوي الشريف بمختلف فروعها، وهو المجال الذي سيصب عليه جل حديثنا في هذه المداخلة والتي سأحرص من خلالها على تتبع جهود ثلة من العلماء الذين قدّموا للحديث وعلمه جهودهم وأفنوا أعمارهم في سبيل خدمة الدين وعلمه، فلهم منا كل الإكبار والتقدير.

وستتناول الباحثة في هذه المداخلة عرض نماذج من جهود علماء تلمسان ونواحيها بصورة خاصة، رغبة في إبراز دور علمائها وأثرهم على المشرق والمغرب.

مشكلة الدراسة:

سأحاول من خلال هذه الدراسة (المداخلة) الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1- ما الخدمات التي قدّمها أهل تلمسان من علماء ومحدّثين للحديث النبوي وعلمه

ومصنّفاته؟

2- ما الجوانب العلمية الحديثية التي برع بها علماء المغرب على علماء المشرق؟

3- كيف أفادت جهود علماء تلمسان خاصة، والمغرب عامة علماء المشرق الإسلامي؟

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من حاجة علماء المشرق الإسلامي، وطلبة العلم إلى معرفة الجهود العلمية العظيمة التي قدمت لخدمة الإسلام وعلومه من قبل أهل المغرب الإسلامي والجزائر عامة، وأهل تلمسان خاصة، وسبب ذلك هو بعد أهل المشرق عن أهل المغرب، وعدم إطلاعهم الكاف على ما قدّمه المغاربة في مجالات العلوم المختلفة، الأمر الذي دلّ على تضافر الجهود ووحدة وجهتها لخدمة الدين وعلومه منذ العهود الأولى للإسلام، كما أنّ هذه الدراسة تسعى إلى إبراز شخصية وهوية وثقافة الجزائر العربية الإسلامية، ومشاركته الفعّالة في تاريخ العرب والمسلمين عبر الأجيال المختلفة، وإبراز هذه الجهود يساهم في زيادة التواصل والتعاون المشترك للعمل على خدمة العلوم الشرعية، و يساعد على إيجاد لغة مشتركة بين المشرق والمغرب تفيد كل من الآخر؛ سعياً للتأكيد على وحدة الأمة ورغبة في المحافظة على مصادر الدين والارتقاء بمستوى الطرح العلمي، من خلال إدراك أهمية وجود التبادل العلمي والمعرفي وأثر ذلك على إغناء المعارف المختلفة وعلومها من خلال تبادل الخبرات العلمية وتكاتف الجهود بين علماء المشرق والمغرب.

وفي هذا يقول الشيخ محمد عوامة: "ولكنّ أهل المشرق العربي لا زالوا في بُعد عن معارف أهل المغرب عامة: مراكش، وتونس والجزائر... و سائر إفريقية، وعن تلك الرقعة العظيمة الأندلس (فردوس الدنيا). وكل هذه بلاد عاش فيها الإسلام... وفيها علماء وأئمة، حفظوا العلم وحرسوا الدين، وخدموا العلوم التي تخدم الإسلام و المسلمين، ومع ذلك فقد غاب عن كثير منا ضرورة... أن نتعرف عليهم وعلى تراثهم"¹.

الدراسات السابقة في التعريف بجهود العلماء المغاربة في الحديث النبوي الشريف:

كانت هناك جهود عظيمة بذلها علماؤنا الأفاضل من أساتذة الحديث النبوي ممن حرصوا على إبراز ما للمغرب الإسلامي من فضل وجهود فظهرت العديد من المؤلفات التي رصدت

جهود المغاربة في مختلف المجالات والعلوم الدينية والإنسانية؛ منها ما كتب في المغرب الإسلامي من مثل دراسة صالح أحمد رضا: مدرسة الحديث في الأندلس وإمامها ابن عبد البر، والمدرسة المغربية في الجرح والتعديل للدكتور إبراهيم بن الصديق الغماري (1975م)، وكتاب الحديث في بلاد المغرب لمحمد بن عزوز².

وبالإضافة لذلك فقد اعتنى كثير من العلماء بدراسة الحياة العلمية لأبرز العلماء المغاربة ممن برعوا وتميزت جهودهم في هذا العلم الجليل؛ علم الحديث النبوي رواية ودراسة، وفيها كان يتم استعراض جهود كل منهم في علم الحديث، و من هذه الدراسات دراسة معمر (1983م) عن محمد بن وضاح القرطبي³، ودراسة الترابي (1997) عن القاضي عياض⁴، ودراسة الجيلاني (2005م) عم ابن رشيد السبتي⁵.

ومن المصادر الأخرى الهامة في مثل هذه الدراسات كتب التاريخ من مثل كتاب ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس، وكتب الرجال التي اقتصت بالمغرب عموما، وكذلك كتب الطبقات والمشيخات والفهارس، من مثل وكتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار وملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس؛ لأبي العباس أحمد بن أبي الزرع الفاسي⁶ و كتاب أحمد بن القاضي المكناسي بعنوان جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام في مدينة فاس.

ومن المراجع الأخرى كتب اعتنت برصد مؤلفات المغاربة في الحديث النبوي الشريف وغيره من العلوم، كتاب (تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه) لمحمد بن عبدالله التليدي وهو عبارة عن فهرست للمؤلفات الحديثية للمغرب الإسلامي. ومعجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، وفهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث لبشير ضيف الله لجزائري.

وظهرت بعض الدراسات والأبحاث التي اعتنت بإبراز التراث الجزائري وجهود علماء الجزائر في خدمة الحديث النبوي الشريف من مثل بحث للدكتور حميداتو؛ بعنوان: "عناية علماء الجزائر

بصحيح البخاري.⁷ "وبحث قطاش" فهرسة مخطوطات علم الحديث ومصطلحه من خلال التراث الجزائري لعلماء جزائريين.⁸

كما ظهرت الرسائل العلمية المتخصصة والتي اعتنت بإبراز جهود المحدثين في مناطق محددة من المغرب الإسلامي، ومن هذه الدراسات العلمية وكذلك دراسة الكتاني مدرسة الإمام البخاري في المغرب⁹، ودراسة شواط مدرسة الحديث في القيروان، وحميداتو مدرسة الحديث في الأندلس، ولأن هاتين المدرستين كان لهما أثر كبير على النهضة الحديثية في تلمسان ونواحيها أذكر فيما يأتي باختصار أبرز معالم كل مدرسة.

دراسة شواط مدرسة الحديث في القيروان(1407هـ)¹⁰، حيث أَلَّف كتابه حول مدرسة الحديث في القيروان من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، ولم يقتصر المؤلف في دراسته على جهود أهل القيروان على اعتبار أنها تمثل المركز العلمي والعاصمة السياسية لإفريقية، وموضع تجمع أهل العلم في تلك الفترة. بل تعرض لجهود أهل إفريقية خلال هذه الفترة الزمنية.

وتعتبر القيروان عاصمة المغرب الأدنى والذي كان مركز النشاط السياسي والحضاري في عصر الولاة الأمويين فالعباسيين، ثم في عصور الدول المستقلة: الأغالبة، والفاطميين، وبنو زيري الصنهاجيين على التوالي¹¹.

ومن أبرز معالم مدرسة القيروان الحديثية ما يأتي:

1- كان الصحابة رضوان الله عليهم أول من وضع بذرة الحديث وعلومه رواية ودراية بإفريقية والقيروان، وأثاروا اهتمام أهلها للحديث، فقد انفرد أهل القيروان برواية حديث صحابين هما زياد بن الحارث الصدائي، والمنيزر الأسلمي الإفريقي. وقد كان آخر الصحابة وجودا بالقيروان هو سفيان بن وهب الخولاني (ت82هـ) وذلك سنة (78هـ).

2- استمر الحديث بالانتشار في القيروان على أيدي آلاف التابعين، عرف منهم تسعة وأربعين تابعياً، من أهمهم التابعي إسماعيل بن المهاجر الذي أرسله عمر بن عبد العزيز (سنة99هـ) مع عشرة من التابعين لتفقيه أهل القيروان وإفريقية وتعليمهم السنن وإقرائهم القرآن

- والحكم بينهم بشرع الله، وهم من أفشوا رواية الحديث فيها، وفي عهدهم دخلت نسخة من الأحاديث التي دونت بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه¹².
- 3- كان مما أسهم في إثراء الحياة العلمية كون القيروان آنذاك هي العاصمة السياسية، وكما جاء أمير اصطحب معه مجموعة من العلماء والأدباء، كما فعل يزيد بن حاتم(155هـ-170هـ)، ومنهم من كان يرسل في طلب العلماء والكتب النادرة من المشرق كما فعل إبراهيم بن احمد بن الأغلب(161هـ-282هـ)¹³. وبالتالي فمن سمات هذه المدرسة دعم حكائها للحركة العلمية فيها، حيث كانوا سببا في النهضة الحديثية ذلك.
- 4- كان للرحلة في طلب الحديث دور في إثراء الحركة الحديثية في القيروان وبخاصة بعد موت من كان بالقيروان من التابعين.
- 5- كان الغالب على القرويين في رحلاتهم هو التلقي غير أن كثيرا منهم قد حدث أثناء رحلته: مثل عبد الرحمن بن زياد الإفريقي(ت161هـ)، وأسد بن الفرات(ت213هـ)، ومحمد بن سحنون(ت256هـ)، و عبد الله بن أبي هاشم(346هـ). وبعضهم استقر في المشرق وبث علمه هناك¹⁴.
- 6- كان للأندلس أثرا كبيرا على ازدهار على الحركة الحديثية في القيروان بسبب الرحلة إليها، والتي غلب فيها تلقي القرويين، واشتغالهم بالتحديث عند عودتهم، وبالمقابل استقر في القيروان علماء من الأندلس، وبثوا علومهم¹⁵.
- 7- من آثار مدرسة القيروان وتأثيرها أن كثيرا من المصنفات الحديثية إنما دخلت الأندلس عن طريق من رحل إليها من القيروانيين، مثل أبي عمران موسى بن عيسى الفاسي(430هـ)، وعثمان بن سعد الصفاقسي(ت444هـ) وغيرهما¹⁶.
- 8- ساهمت القيروان في نشر الحديث وعلومه رواية ودراية في مختلف مدن إفريقية وقراها، وكان لعلمائها إسهام في إثراء المكتبة الحديثية بالأجزاء الحديثية، والمصنفات في علوم الحديث والمسانيد، والجوامع، وكتب العوالي الحديثية، و الأمال¹⁷، والجرح والتعديل،

وغير الحديث وشرحه، وكتب الفهارس، وبرامج الشيوخ، وغيرها. وأنجبت مدرسة القيروان ما يقارب (182) من الرواة بين محدث، ومشارك في الحديث مشاركة بينة. ومن الدراسات التي اعتنت بالجهود الحديثية دراسة حميداتو مدرسة الحديث في الأندلس (1428هـ)¹⁸. حيث غطت جزءا كبيرا من منطقة المغرب الإسلامي، وقد خلص الباحث بعد دراسة مستفيضة لمدرسة الحديث في الأندلس إلى نتائج وميزات هامة لمدرسة الأندلس اذكر منهما ما يأتي¹⁹:

1. يعتبر محمد بن وضاح وعصريه بقي بن مخلد القرطبيان من المؤسسين الأوائل لمدرسة الحديث في الأندلس.
2. حرص علماء الأندلس على جلب ما أمكنهم من المصنفات المشرقية وغيرها إلى بلادهم ونسخها والاستفادة منها وتكوين المكتبات التي ساهمت في حفظ مقتنيات الأمة من العلوم الشرعية، ومن أهم هذه المصنفات :
موطأ الإمام مالك²⁰، وصحيح البخاري²¹، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود والنسائي والترمذي، ومصنفات كل من عبدالرزاق بن همام، وحماد بن سلمة، و سفيان بن عيينة، وسعيد بن منصور، ومسانيد كل من البزار والإمام أحمد، والطيالسي، وغيرها.
3. لم يكتب الأندلسيون بما وصلهم من الكتب المشرقية وغيرها، بل ألف محدثو الأندلس في مجال الرواية مؤلفات متميزة لم يؤلف مثلها قط كمسند بقي بن مخلد، وكتاب الجمع بين الصحيحين لأبي عبدالله الحميدي الأشبيلي، وكتاب التجريد في الجمع بين الموطأ والصحاح الخمسة لرزين بن معاوية الذي يعتبر أصلا لكتاب جامع الأصول لابن الأثير. وصنّفوا في الأجزاء فظهرت كتب لا تزال من المراجع الهامة في أبوابها: من مثل كتاب البدع والنهي لمحمد بن وضاح القرطبي، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، والاعتصام للشاطبي.
4. لعلماء الأندلس مذاهب في نقد الحديث، وقد أظهر محدثو الأندلس براعة فائقة في الكشف عن علل الحديث خاصة ابن حزم وابن عبد البر.

5. كان لمدرسة الأندلس جهود حقيقة في علم الرجال وعلم الجرح والتعديل من حيث:
أ- ظهور المتكلمين في الرجال وتباين إسهاماتهم فمن مقل: (أبو علي الغساني، وأبو بكر بن
العربي، والقاضي عياض، وابن بشكوال وغيرهم). ومن مكثر (محمد بن وضاح القرطبي، وابن
حزم، وابن عبد البر).

اختلف محدثو الأندلس في تقسيم مراتب الجرح والتعديل، حيث قسم ابن حزم مراتب التعديل
إلى أربع والجرح إلى خمس مراتب، في حين قسم ابن عبد البر مراتب التعديل إلى خمس ومراتب
الجرح إلى خمس.

وكذلك دراسة الكتاني مدرسة الإمام البخاري في المغرب²²

وستسعى الباحثة من خلال هذه الدراسة إلى إبراز جهود علماء تلمسان في الحديث
النبي الشريف وعلومه، والتي كان لها دور وأثر على المشرق الإسلامي.

فقد تناولت فيها جوانب محددة أردت من خلالها إلقاء الضوء على الجهود الحديثة

لأهل تلمسان

ولم أقصد في مداخلة هذه استيعاب الحديث عن علماء تلمسان، بقدر ما أردت خدمة
الموضوع وإبراز ما قدّم من جهود حديثة، والتمثيل على كل منها؛ من خلال السير العطرة للعلماء
وما قدموه من مؤلفات ومصنفات تظهر هذه الجهود.

وقد حاولت من خلال البحث أن أستفيد من أبرز أعلام تلمسان من المحدثين، واستشهد بهم في
المواضع المناسبة، وهذا أدى إلى تكرار ورود ذكر العالم في أكثر من موضع.

خطة الدراسة:

قسّمت هذه الدراسة إلى مقدمة، و ثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: التعريف بالجزائر وتلمسان:

المطلب الأول: التعريف بالجزائر

المطلب الثاني: التعريف بتلمسان وأهميتها

المبحث الثاني: النهضة العلمية والحديثية في تلمسان

المطلب الأول: النهضة العلمية الحديثية في تلمسان والعوامل التي أثرت عليها

المطلب الأول: أهم العوامل التي ساهمت في ظهور النهضة العلمية والحديثية في الجزائر:

المطلب الثاني: اهتمام المسلمين بالحديث النبوي الشريف وعلومه:

المبحث الثالث: جهود أهل تلمسان وما حولها في مجال الحديث النبوي وعلومه:

المطلب الأول: الاشتغال بالحديث والتعليم في المشرق الإسلامي من قبل علماء تلمسان والمغرب الإسلامي:

المطلب الثاني: جهود علماء الجزائر و تلمسان في خدمة المصنفات والكتب الحديثية:

أولاً: عنايتهم بسماعها، ونقلها والعمل على تدريسها

ثانياً: إنشاء المكتبات

المبحث الرابع: حركة التأليف وعناية أهل الجزائر وتلمسان بالمصنفات الحديثية (صحيح البخاري نموذجاً)

المبحث الخامس: أبرز الأعلام والمحدثين الجزائريين في تلمسان ونواحيها.

وخاتمة

وفيها عرض لأهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة من هذه الدراسة.

وبعد فإنني أحمد الله تعالى أن يسر لي إنجاز هذه الدراسة، والتي أرجو أن أكون قد وفقت

فيما عرضته فيها، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم القيمة، وأن يغفر

لي ما وقع فيه من زلل وتقصير.

المبحث الأول

التعريف بالجزائر وتلمسان

المطلب الأول: التعريف بالجزائر

وقبل التعريف بالجزائر باعتبارها جزءاً من المغرب الإسلامي، اقتضت الحاجة التعريف بالمغرب الإسلامي والتقسيمات التي ذكرها العلماء والمؤرخون لها. التعريف بالمغرب الإسلامي:

تعبير يشمل كثير من الحواضر والمدن الإسلامية الكثيرة كالقيروان، وتلمسان، و تيهرت، وطنجة، والأندلس، وفاس، وسبتة... وغيرها من الحواضر والمدن المغربية.²³

ولفظ: "المغرب": بالفتح ضد المشرق وهي: بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة، قال بعضهم حدها من مدينة مليانة وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر بلاد السوس التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس وإن كانت إلى الشمال أقرب ما هي، وطول هذا في البر مسيرة شهرين.²⁴

وقد اصطلح الجغرافيون والمؤرخون المسلمون على تقسيم بلاد المغرب العربي إلى ثلاثة أقسام انطلاقاً من المفهوم الواسع لمدلول كلمة المغرب، وهذه الأقسام هي:

1. المغرب الأدنى (إفريقية): ويمتد هذا الإقليم من طرابلس، شرقاً حتى مدينة بجاية أو تاهرت غرباً (الجزائر حالياً) وعاصمة هذا الإقليم مدينة القيروان في تونس.

وقد أطلق الرومان اسم أفريقية على منطقة المغرب الأدنى التي تشمل حالياً جمهورية تونس وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر، وكانت العاصمة على التوالي القيروان، ثم المهديّة ثم تونس.

2. المغرب الأوسط: ويمتد من بجاية أو تاهرت شرقاً حتى وادي ملوية وجبال تازا غرباً (فيما بين مدينتي تلمسان وتازا التي تعد ممراً يربط بين المغرب الأوسط والأقصى). وبكاد المغرب الأوسط يشكل حالياً بلاد الجزائر الآن. أما عن عاصمته، فقد تعددت بتعدد الدول التي حكمته، ففي

عصر الدولة الرستمية كانت العاصمة مدينة آشير، وفي عهد الدولة العبدوية أوبني عبد الواد، غدت تلمسان هي العاصمة، ثم أصبحت جزائر مزغنة(الجزائر العاصمة الآن) هي عاصمة القطر الجزائري.²⁵

3.المغرب الأقصى: ويمتد من وادي ملوية وجبال تازا شرقا، حتى المحيط الأطلسي غربا، وبالتحديد الساحل المغربي على المحيط الأطلسي، ويكاد يشكل المملكة المغربية بحدودها المعروفة اليوم. وعاصمة المغرب الأقصى تعددت بتعدد الدول التي حكمتها. ففي عهد الأدارسة كانت العاصمة مدينة فاس، ثم مراكش في عهد المرابطين، فالموحدين. وتنقلت العاصمة بعد ذلك بين فاس ومراكش إلى أن استقرت أخيرا في مدينة الرباط إبان الاستعمار الفرنسي للمغرب.²⁶

المطلب الثاني: التعريف بتلمسان وأهميتها:

تعتبر تلمسان: "قاعدة المغرب الأوسط، وحد المغرب الأوسط من واد يسمى مجمع وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب، وبلاد المغرب في الطول والعرض من البحر الذي على ساحله مدينة وهران ومليلة وغيرها إلى مدينة سول، وهي مدينة في أول الصحراء وهي على الطريق إلى سجلماسة و واركلان وغيرها من بلاد الصحراء."²⁷

"وما تزال تلمسان من أكبر مدن الجزائر . وينسب إليها عدد من العلماء والمتصوفة منهم سيدي بو مدين . وأبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ، صاحب كتاب نفع الطيب."²⁸

"وتقع تلمسان الآن في الإقليم الغربي من أرض الجزائر، وقد عرفت في عصر الرومان بمدينة (بومارية)، ثم لما سيطر عليها البربر أطلقوا عليها (أقادير) وتعني "جدار قديم"، أو مدينة محصنة، وهي مدينة عريقة. ثم سميت المدينة(تلمسان) وهذا الاسم في لغة زناتة، وهو اسم مركب من: (تلم) ومعناه تجمع، (وسان) ومعناه اثنان أي الصحراء والتل."²⁹

ثانياً: أهمية مدينة تلمسان:

منذ توجه الفتوحات العربية الإسلامية نحو الغرب-إفريقيا والمغرب- ظهر لتلمسان دور مهم في المنطقة بسبب موقعها الجغرافي المميز (فوقوعها بين الوسط بين فاس في الغرب، وتونس في الشرق) جعلها محط أنظار الجوار، وعرضة للصراعات المتوالية رغبة في السيطرة عليها، وقد استطاع الوالي حسان بن النعمان إخضاعها واتخاذها مركزاً إدارياً للمسلمين في المنطقة، كما اتخذها طارق بن زياد قاعدة خلفية لجيوش المسلمين المتجهة لفتح الأندلس سنة 711/29م.

"وقد نزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ومن ولده عيسى أبو العيش بن إدريس بن محمد بن سليمان، الذي بنى جراوة وكان أميرها وبها توفي. ولم تزل تلمسان داراً للعلماء والمحدثين وأهل الرأي على مذهب مالك".³⁰

وقد كانت محط صراع الكثير من الحكام، ولذا فقد تعاقب على حكمها عدد من الدول كالصفيرية والمغراوية والإدريسية والمرابطية والموحدية والزيانية، إلى أن انضمت للدولة الجزائرية. "فبعد انتقال السلطة في المشرق للعباسيين سنة 132هـ/750م، ظهرت فيها حركة ثورية ضد الدولة العباسية عرفت بالحركة الصفيرية-الخوارج- بقيادة أبي قرّة اليفرنى، ثم دخلت تحت سيطرة الأدارسة في المغرب الأقصى. ثم شهدت المدينة صراعاً قويا للسيطرة عليها بعد إنهاء دولة الأدارسة، بين الأمويين في الأندلس والمغرب الأقصى، والفاطميين وولاتهم في المغرب الأدنى، فسيطر الفاطميون عليها سنة 319هـ/931م على يد القائد الفاطمي موسى بن أبي العافية، ثم عادت إلى حكم الدولة الأموية وسيطرتها سنة 342هـ، وقد استمر الصراع أكثر من قرن ونصف على تلمسان ونواحيها إلى أن دخلت المدينة تحت سيطرة المرابطية سنة

474هـ/1081م، وأصبحت أحد أهم مراكز ولايتهم، وبعد سيطرة الدولة الموحدية على الدولة المرابطية سنة 539/1145م، استمرت المدينة مركزاً إدارياً في المنطقة، وزادت أهميتها بعد صمودها أمام ثورة ابن الغانية بفضل قبيلة عبد الواد البربرية القريبة منها. واستغلت قبيلة بني عبد الواد البربرية ضعف الدولة الموحدية، فسيطرت على تلمسان، وبذلك بدأت مرحلة جديدة ونقلة نوعية في تاريخ المدينة امتدت من سنة 633هـ-962هـ/1235-1555م. أصبحت خلالها عاصمة لدولة إسلامية شملت المغرب الأوسط (الجزائر) وأصبحت من أهم ثلاث مدن في المغرب الإسلامي، وهي فاس، وتلمسان، وتونس.

وقد اهتمت الدولة الموحدية بتلمسان، ومنحتها إهتماماً خاصاً، فقد أعاد الموحدون بناء المدينة بعد دمرها الحصار، وجلبوا إليها الناس وأسكنوهم فيها لإعادة إعمارها وأقاموا فيها المباني والقصور الفاخرة، وحصنوها بالأسوار والخنادق، فأصبحت المدينة مركزاً للولاية الممتدة من ملوية غرباً إلى نهر مينا شرقاً، وأصبحت المدينة أحد المراكز العلمية في الدولة، وإحدى المدن التي تعلم فيها أبناء الخلفاء والأمراء والموحدين، فقد وجدت أربع مدن يذهب إليها أبناء الخلفاء والأمراء من الموحدين لطلب العلم، وهي تلمسان، وفاس، وإشبيلية، وغرناطة.

وبرزت شخصية المدينة وخصوصيتها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وقد لعبت المدينة دور الوسيط التجاري داخل البحر الأبيض المتوسط بين أوروبا شمالاً وبلاد الصحراء جنوباً، مما ساعد على ازدهارها سياسياً وعمرانياً وفكرياً.³¹

المبحث الثاني

النهضة العلمية الحديثية في تلمسان والعوامل التي أثرت عليها

"كان للجزائر عبر العصور والأجيال منذ كرمها الله بنعمة الإسلام تاريخ مجيد حافل، ولأعلام رجالها وأئمتها وسلاطينها وملوكها في الحضارتين العربية والإسلامية أثر بعيد. فهم الذين أسسوا المدن التاريخية كـ"تيهت" و"قلعة حماد" و"بجاية" وغيرها من الحواضر والمدن، وأنشأوا الجوامع والمساجد، وأقاموا دور الكتب والخزائن، فأصبحت على مرّ الزمان منبعاً للعلوم الإسلامية والعربية، ومناراً للمعارف والآداب هوت إليها أفئدة أعلام الفقهاء والمحدثين والمفسرين والأدباء والكتاب والشعراء والمؤرخين من شتى البلدان المشرقية والمغربية، حتى غدت في كثير من عصورها التاريخية من أهم الأقطار الإسلامية، وأوسعها شهرة وأكثرها عمراناً وازدهاراً."³²

المطلب الأول: أهم العوامل التي ساهمت في ظهور النهضة العلمية والحديثية في الجزائر:

تعتبر كثرة الصراعات وتواليها على تلمسان ونواحيها من العوامل الرئيسة التي أخرجت ظهور وتطور الحركة العلمية في تلمسان؛ فلم يشهد المغرب الإسلامي استقراراً سياسياً في بداية نشأته على يد الأدارسة، الذين أسسوا دولتهم في مدينة فاس، حيث انقسموا على أنفسهم بعد وفاة إدريس الثاني سنة (213هـ)، ودخلوا في صراعات ضد بعضهم البعض، وتعرضوا خلال هذه الفترة العصبية إلى خروج الزناتيين عليهم عدة مرات، فكانت أوضاع المغرب في ثقل مستمر؛ الأمر الذي ترك أثراً واضحاً على النهضة العلمية، والتي لم تُعرف في المغرب إلا بعد قيام دولة المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري، ومن بعدهم دولة الموحدين.

وقد أشار إلى هذا الأمر د. يوسف حواله في مقدمة كتابه الحياة العلمية في إفريقية³³، وقد استدل على كلامه بحال جامع القرويين الذي أسس في مدينة فاس (245هـ)، حيث لم يأخذ مكانته العلمية والريادية إلا في عصر المرابطين ومن ثم في عصر الموحدين. الذين استطاعوا أن يوجدوا استقراراً سياسياً ساهم بشكل فاعل في تنشيط الحركة العلمية بمختلف اتجاهاتها ومنها الحركة الحديثية وما يتعلق بها.³⁴

قلت: إن اضطراب الأوضاع السياسية عامل يمنع من وجود نهضة علمية بمعناها الواسع، ولكنه لا يمنع من وجود جهود فردية من أهل المغرب ممن سعى إلى طلب العلم؛ وبخاصة علم الحديث والرحلة في سبيله؛ ذلك لأن الحديث النبوي يعتبر ركيزة الدين ومصدره التشريعي الثاني الذي بذل المسلمون في المغرب لأجله جهوداً كبيرة في تحصيله والعناية به، وإن لم تظهر هذه الجهود واضحة كما أصبح عليه الحال في عهد المرابطين ومن جاء بعدهم. وقد كان لتشجيع السلاطين للحياة العلمية دور هام ساهم في بعث الحركة العلمية في مختلف المجالات.

فقد نشطت الحركة العلمية في تلمسان بصورة واضحة في العهد الزياني، وظهر ذلك من خلال عدد من الظواهر العلمية المتعددة والتي ساهمت في إحداث النهضة العلمية في تلمسان؛ كانتشار معاهد التدريس من مساجد ومدارس، فقد ساهم السلاطين في بناء المدارس الخاصة للتدريس، وبناء منازل للمدرسين والطلبة، وتعيين الجرايات الخاصة بهم. كما فعل السلطان يغمراسن للعالم التنسي سنة 666هـ، عندما أقطعه نواحي من تلمسان، وكما فعل السلطان أبو حمو موسى الثاني عندما رتب الجرايات والأوقاف على المدرسة التي أقامها لصالح الطلاب والمدرسين.³⁵

كما أن ظهور عدد كبير من العلماء داخل المدينة ومدن المغرب والأندلس، ومدن المشرق، ساهم في تنشيط الحركة العلمية، فقد حرص الحكام على استقطاب العلماء وتوجيه الدعوات الخاصة من مثل دعوة السلطان يغمراسن من العالم أبي إسحاق بن يخلف التنسي سنة 680هـ للقدوم لتلمسان والتدريس بالجامع الأعظم في المدينة. لهم وظهر عدد من المؤلفات لعلماء تلمسان، بالإضافة إلى تنوع العلوم المتداولة داخل المدينة من علوم عقلية ونقلية شملت بمحتواها جميع العلوم المعروفة بتلك الفترة، هذا بالإضافة إلى انتشار المكتبات العامة والخاصة، والتي حفظ فيها تراث الأمة من مصنفات ومؤلفات، وقد ارتقى المستوى العلمي لتلمسان إلى درجة ظهور فتاوى من علماء تلمسان أخذت صفة التعميم على مستوى المغرب والأندلس.³⁶

كما أن اهتمام الحركة العلمية في تلمسان بنشر المذهب المالكي الذي ترغب به الدولة، وإعداد الطلاب ليكونوا مؤهلين ليتقلدوا الوظائف الدينية والشرعية واستلام الدواوين في الدولة، ساهم في جذب الاهتمام للحديث وعلومه المختلفة.

ويعتبر ظهور المدارس الحديثية في كل من القيروان والأندلس وفاس، وبروز العلماء المحدثين واهتمامهم بالحديث وعلومه ومصنفاته من العوامل التي ساهمت في تنشيط الحركة العلمية الحديثية وإقبال علماء تلمسان على الحديث وعلومه، ومن العلماء المغاربة ممن ظهوروا وبرزوا في المغرب الإسلامي المحدث الفقيه الحافظ أبي ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي (357هـ)، فإنه دخل القيروان وسمع بها من أبي بكر بن اللباد (ت333هـ) شيخ السنة في القيروان. وقد كان أبو ميمون أول من أدخل الموطأ إلى فاس، وأول من أدخل إليها مدونة سحنون. ومن تلاميذه بها الإمامان عبدالله بن أبي زيد (386هـ)، وهو الذي استضافه عنده مدة إقامته في القيروان، والإمام القابسي (403هـ) 37. ومحمد بن إبراهيم بن الفخار الأنصاري حيث استدعي إلى العاصمة الموحدية من قبل ملوكها الموحدين وتوفي بها سنة 590هـ. وقد كان من أحفظ علماء زمانه للحديث والفقه واللغات والآداب والتواريخ. ومحمد بن عبد العزيز بن خلف بن عبد العزيز المعافري (ت601هـ)، سكن مدينة مراكش باستدعاء من المنصور الموحدي، عالم بعلوم كثيرة منها علم الحديث فقد كان محدثاً راوية عدلاً مكثراً صحيح السماع ثقة متقدماً في النحو، تصدّر للتدريس بجامع المنصور الموحدي لما له من معارف صنف بعض الكتب التي أقبل عليها المراكشيون قراءة ونسخاً لأهميتها العلمية.

ومن العلماء الذين برزوا في علم الحديث في عصر بني مرين محمد بن عبد الرحمن التيمي الذي كان يروي الحديث بأسانيده وامتونه، ويستظهر مطولاته³⁸.

وحركة الرحلة في طلب الحديث نتج عنها ظهور أعلام برزوا في المغرب الأقصى، وكانوا ممن تتلمذ على أيدي هؤلاء العلماء الأجلاء ومن ذلك ابن القطان الفاسي (ت628هـ) الذي تتلمذ على يدي شيخه عبد الحق الإشيلي (ت581هـ). وكذلك القاضي عياض (544هـ) الذي

تتلمذ على أيدي علماء الأندلس وإفريقية ومنهم أبو محمد عبد الرحمن بن عتاب القرطبي(ولد سنة433هـ). وغيرهم.

المطلب الثاني:اهتمام المسلمين بالحديث النبوي الشريف وعلومه:

يعتبر القرن الثالث الهجري من أجل عصور الحديث وأسعدها بخدمة السنة ففيه ظهر كبار المحدثين، وجهابذة المؤلفين، وحقاق الناقدين كما أشرقت فيه شمس الكتب الستة، التي كادت لا تغلت من صحيح الحديث إلا النزر اليسير، والتي يعتمد عليها المستنبطون، وبها يعتضد المناظرون، وعن محياها تنجاب الشبه.

ثمّ جاء القرن الرابع الهجري، وهو الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواة الحديث وحملته، وهو رأس الثلاثمائة للهجرة. وقد امتازت كتب السنة في القرن الثاني والثالث في الأكثر بأولية الجمع فيها، فقد وضع فيها المصنفات الحديثية؛ والتي أصبحت فيما بعد معتمد من كل من جاء بعد هذه القرون، فتوجهت الجهود الحديثية بتناول هذه المصنفات بالشرح، وبدراستها دراسة نموذجية من جميع الوجوه من الناحية الحديثية، أو من الناحية الفقهية أو من الناحية الأصولية، إلى غير ذلك.

وقد اعتنى العلماء بجمع السنن من أفواه الرجال والرواة والنظر في رجال الأسانيد وإنزالهم منازلهم، وبيان عللهم، وبيان عليل الحديث من صحيحه، وقد تركزت هذه الجهود في القرن الرابع الهجري، وفي العصور اللاحقة ركن الناس إلى التقليد والمحاكاة فسلكوا مسلك التهذيب للمصنفات، وبيان الغريب، أو الاختصار والتقريب، أو الاستخراج على ما تم تصنيفه، ولذا فإنّ جهود العلماء بعد القرن الرابع الهجري اختلفت في وجهتها وطبيعتها عمّا قد صنّف في

القرون الثلاثة الأولى من عصر الرواية والتحديث. وقد برز في القرن الرابع الهجري وما بعده عدد من العلماء قدموا خدمات جليلة لما دَوّن وصنّف في علم الحديث ساهم في نشر الحديث وعلومه، وشجع الناس على الاشتغال به.

وقد كان لعلماء الجزائر عامة وتلمسان خاصة دور في خدمة الحديث النبوي الشريف وعلومه منذ القرن الرابع الهجري إلى يومنا الحالي تجلّى في الرحلة في طلب العلم، والتي ساهمت في تنشيط الحركة العلمية في المشرق الإسلامي سواء في بلاد الشام، وفي مصر، وفي الحجاز و مكة والمدينة المنورة. ونماذج العلماء ورحلاتهم شاهد حي يؤكد تلك الجهود العظيمة التي بذلها الكثيرون من علماء تلمسان والجزائر في سبيل تحصيل العلم ونشره وتعليمه للناس، فكثير من علماء الجزائر ارتحلوا إلى المشرق واستقروا فيها وقضوا أعمارهم في تعليم العلوم الدينية وتغانوا في ذلك، وترك كثير منهم مؤلفات وآثاراً دلت على جهودهم المباركة. ومن هؤلاء الشيخ محمد بن مرزوق الخطيب، والشيخ محمد بن مرزوق الحفيد العجيسي، والشيخ محمد بن إبراهيم الآبلي(ت681هـ)، والشيخ أبو مدين شعيب الغوث(ت520هـ)، وأناء الإمام البرشكية(683-845هـ).

بالإضافة إلى جهود علماء تلمسان في وضع الشروحات والمؤلفات التي دلت على عنايتهم بالحديث النبوي وعلومه، كما كان لأهل تلمسان دور في نشر الحديث النبوي وتعريف أهل المغرب بالمصنفات الحديثية، من خلال ما نقلوه من علوم أهل المشرق ومؤلفاتهم.

وقد شهد الزمان على جهود أهل تلمسان في المحافظة على المصنفات الحديثية وعلى أصولها من خلال عقد مجالس العلم والتحديث، وظهور الإجازات العلمية التي كانت تمنح من قبل علماء الحديث إلى طلبة العلم. ومن خلال إنشاء المكتبات والزوايا والمدارس التي حرص أصحابها على

اقتناء كل نفيس من كتب الحديث وعلومه والمحافظة عليه، وقد تجلّى هذا في كثرة المكتبات التي أنشئت وعرفت عبر العصور الإسلامية المتوالية على تلمسان ومدن الجزائر.

المبحث الثالث: جهود أهل تلمسان وما حولها في مجال الحديث النبوي وعلومه:

تنوعت الجهود الحديثية التي قدّمها علماء تلمسان والجزائر في مجال الحديث النبوي وعلومه ، رواية ودراية، حتى شملت مختلف علوم الحديث ، وقد استوعب ابن عمر الجزائري في فهرسته على التراث ما يقارب المائة عالم من علماء الجزائر وتلمسان ممن عنوا بالحديث النبوي وعلومه ، وصنّفوا المصنفات والمؤلفات العلمية المتعددة.

ففي مجال مصطلح الحديث: وضع ابن مرزوق الحفيد محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت842هـ) " الروضة" في علم الحديث، و" مختصر الحديقة" وهو رجز في علم الحديث اختصر فيه ألفية العراقي.³⁹

وكذلك ما ألفه ابن قنفذ أحمد بن حسن بن علي بن ميمون أبو العباس القسنطيني، له شرف المطالب في أسنى المطالب، وهو شرح للمنظومة المسماة " القصيدة الغزلية في ألقاب الحديث" لأبن فرج الأشبيلي، و له في علم تراجم الرجال كتاب: " الوفيات" ويحتوي على تراجم للعلماء خصوصاً المحدثين منهم مرتبة على القرون وعلى تواريخ وفياتهم.⁴⁰

وفي المصطلح أيضا صنف طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري، مبتدأ الخبير في مبادئ علم الأثر، وتوجيه النظر إلى علم الأثر.⁴¹

وجهود علماء الجزائر منها ما ظهر وحفظ من خلال مؤلفاتهم ومصنفاتهم و مروياتهم، ومنها ما كان جهوداً علمية في التدريس ، ومجالس العلم ومنح الإجازات، و تصدّر مجالس التحديث.

وفيما يأتي تفصيل لبعض هذه الجهود وبيان لها.

المطلب الأول: الاشتغال بالتحديث والتعليم في المشرق الإسلامي من قبل علماء تلمسان والمغرب الإسلامي:

"إن صلة المغرب بالشام صلة دائمة مستمرة لوجود رابطة الدين والثقافة والحضارة، ويرجع تاريخ هذه الصلة إلى القرن الثاني الهجري عندما هاجرت إليه أفواج كثيرة متلاحقة من العلماء والمحدثين الشاميين عملوا على نشر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبناء المغرب. ثم رحل إلى الشام العديد من المغاربة طلباً للحديث ولقاء كبار الحفاظ وكانوا الطبقات الأولى التي أعقبت الفتح طلاب علم ثم أصبحوا فيما بعد شيوخاً فرحلوا إلى الشام واختاروا المقام هناك مزودين بما تلقوا من علوم وحاملين ذخائر من التراث ونوادير من الأصول واستطاعوا في مهاجرهم بالشام أن يرسخوا وجودهم العلمي فانتهت إلى بعضهم الإمامة والرئاسة وتوارث خلف منهم ميراثهم العلمي."⁴²

"وقد أحبّ المغاربة بلاد الشام خصوصاً دمشق وفلسطين، أما دمشق فقد كانت في القرن الثامن الهجري من العواصم العلمية المرموقة، فيها طائفة من مشاهير الأعلام ذوي المنزلة الممتازة والشهرة الواسعة وناهيك بالحفاظ والمؤرخين الثلاثة أبي القاسم محمد بن يوسف البرزالي، والإمام الذهبي، والمزي... كما حظيت القدس الشريف بمكانة عظيمة عند المغاربة باعتبارها أرضاً مقدسة بآثارها وأختصها بأنها أولى القبليتين وثالث الحرمين. ولذلك فقد كان المغاربة مشدودين إلى المسجد الأقصى المبارك بأقوى الأسباب وامتنتها... وقد كان منهم من يستقر ويؤثر البقاء في القدس الشريف... وكان بعض علماء المغرب يمكثون بالقدس الشريف الأيام والأعوام أمثال العلامة أبي بكر الطرطوشي، وابن كازروني، و الإمام القاضي ابن العربي المعافري، وغيرهم."⁴³

وقد نشطت حركة العلماء ورحلاتهم في مختلف العهود التي حكمت المغرب الإسلامي، ولم يمنع الحكام العلماء من التنقل والترحل في سبيل طلب العلوم المختلفة، وبالمقابل فقد

هيأت الكثير من الظروف لطلبة العلم لتشجيعهم على الرحلة والتنقل في سبيل طلب الحديث والعلوم الأخرى، ومن ذلك أنّ هيأت المدارس والمساجد، وكثير من الأماكن لاستقبال طلبة العلم من أي مكان كانوا يقدمون منه، فقد كانت الأماكن معدة لإيواء الطلاب بالمجان والنفقة عليهم، كذلك كانت الربط والزوايا والخوانق مفتوحة للمسافرين والقادمين.

وقد تعددت اتجاه هذه الرحلات العلمية، فقد شملت الرحلة في طلب العلم داخل بلاد المغرب معظم المدن المغربية

وعلى رأسها مراكش و فاس كما شملت الرحلة في طلب العلم كلا من المغرب والأندلس، فتدفق طلاب العلم والعلماء من المغرب على مراكز العلم في الأندلس، وبعد احتلال الإسبان للأندلس توافد الكثير من العلماء من الأندلس على حواضر المغرب الإسلامي، واستقروا فيها. وكذلك ارتحل الكثير من أهل قسنطينة والجزائر وبجاية وقلعة حماد وتلمسان إلى المشرق، واستقروا في بلادها، ومنهم من عاد بعد سنوات إلى المغرب واستقر به الحال إلى أن توفي فيها، ومنهم من اختار الإقامة في المشرق واستقر فيها إلى وفاته.

وقد كان أبناء الحكام المرابطين و الموحديين ممن ارتحل أيضا في طلب العلم، وكذلك في عصر بني مرين فقد استمرت الرحلة في طلب العلم، وممن ارتحل من المغاربة للأندلس أبو عبدالله بن مرزوق التلمساني والذي أسندت له مهمة الخطابة في مسجد غرناطة، كما أسندت إليه أيضا مهمة الإقراء والتدريس في مدرسة غرناطة.

ومن الذين رحلوا إلى فاس وتلمسان من الأندلسيين ابن عباد الرندي، الذي قرأ بهما الفقه و الأصول العربية.

ولم تكن الرحلة قاصرة على بلاد المغرب والأندلس، بل شملت بلاد غرب إفريقيا، ومن هؤلاء المغاربة الذين رحلوا إلى بلاد المشرق العربي عبد الله المريني رحل إلى الإسكندرية، وأقام بها وأنضم إلى أقرانه من أمثال ابن رواج، وأبي العباس القرطبي، وابن عبد السلام، و أصبح عبدالله المريني مصدرا مهما من مصادر علم الحديث.

ومن علماء دولة مرين من الذين نهلوا من فيض علماء مصر أبو عبدالله بن مرزوق الخطيب والذي بلغ عدد العلماء الذين تتلمذ على أيديهم وقرأ عليهم في مصر أكثر من أربعين⁴⁴، من أهل القاهرة والإسكندرية، ومدينة بليس. ولم يترك ابن مرزوق أحداً في مصر إلا وتعلم منه، أو قرأ عليه حتى قابل الشيخة المسندة فاطمة بنت محمد الفيومي البكري، والتي كانت في زمانها تلقب بـ(ست الفقهاء).⁴⁵

"وقد تبادل علماء المشرق الرحلة مع علماء المغرب، فقد رحل إلى العاصمة فاس بعض علماء المشرق من أمثال محمد بن الهادي بن أبي القاسم بن نفيس الشريف وهو من جد الشرفاء العراقيين بفاس، وكان عالماً أديباً حظي بمنزلة رفيعة عند الخاصة والعامة في دولة بني مرين، وقد خرج السلطان أبو سعيد عثمان المريني لاستقباله بنفسه عند قدومه إلى المغرب."⁴⁶

"وقد عكست الرحلة في طلب العلم على علوم الشريعة آثاراً طيبة كثيرة، وكانت منبعاً غنيا بالخير والنشاط الدائم وسبيلاً إلى تحقيق التبادل الثقافي والتعاون الفكري بين المراكز الثقافية في ربوع المغرب وغيره من مراكز الثقافة في العالم الإسلامي في ذلك الوقت."⁴⁷

وخلاصة القول فإن علماء تلمسان شاركوا في نشر الحركة العلمية في العديد من الحواضر المغربية والمشرقية، فكانوا يهاجرون من تلمسان نحو مدن المشرق أو مدن المغرب، ويأخذون من علمائها، وفي نفس الوقت يمنحون ما عندهم لطلاب المناطق ويعود معظمهم بعلم أوسع

لتلمسان. ومثال ذلك العالم عبدالله الشريف الذي ذهب ودرس في غرناطة، وعفيف الدين التلمساني (ت 690هـ/1291م) الذي توفي في دمشق.⁴⁸

ومن أمثلة العلماء الذين ارتحلوا إلى المشرق وأفادوا بعلومهم أهلها واستقروا فيها ما يأتي:

1. أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني التلمساني: فقيه مالكي محدث، من القضاة، وهو جد الإمام ابن مرزوق الحفيد لأمه. رحل إلى المشرق قبل سنة (739هـ).

2. الزرمانى العجيسى: يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن علي بن عمر بن عقيل (777-862هـ): أخذ أنواع العلوم من التفسير والحديث والفقه وأصوله والكلام والعربية عن شيوخ الغرب كالإمام أبي عبد الله محمد بن عرفة، والإمام أبي عبد الله محمد بن خليفة و آخريين، وبرع ونبع وتقدم وصار إماماً علامة في فنونه ورحل إلى القاهرة سنة أربع وثمانمائة، فأقام بها يقري ويفيد ويصنف له شرح على الألفية نشر، وشرح عليها منظوم. وشرح في شرح البخاري. وقد أخذ عنه مشافهة نحو من ألفين كلهم مجتهد أو قارب الاجتهاد، ولي تدريس المالكية في الشيخونية، مات في شعبان سنة اثنتين وستين وثمانمائة.⁴⁹

3. والندرومي أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبدالله شهاب الدين الندرومي التلمساني، فقيه مقرئ، عالم بالمنطق، من أهل ندرومة، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد وغيره، ورحل إلى القاهرة وتصدر فيها للإقراء، كان حياً بعد (830هـ).⁵⁰

4. البجائي: إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أحمد بن أحمد بن سليمان الصدقاوي، الزواوي الأصل، ثم البجائي، ويعرف بالمصعصع: فقيه مالكي، له إمام بالتفسير يستحضر من ابن عطية ويحضر دروس البرهاني بن ظهيرة وقطن المدينة. نشأ وتعلم في بجاية

وإليها نسبته، رحل إلى المشرق وسكن بالمدينة المنورة مدة، ثم انتقل إلى مكة وأقام بها إلى أن مات سنة (882هـ) وهو ابن ست وستين.⁵¹

5. ابن رحمون العُلمِي (توفي 888هـ): يحيى بن أحمد بن عبد السلام بن رحمون الشرف أبو زكريا بن الشهاب أبي العباس القسنطيني المغربي المالكي نزيل القاهرة ثم مكة ويعرف بالعلمي بضم العين وفتح اللام وربما سكنت نسبة فيما قاله لي إلى العلم.⁵²

6. أحمد بن سعيد بن محمد الشهاب بن عباس التلمساني (874هـ): فقيه مالكي، من القضاة، له مشاركة في العربية، نشأ وتعلم بتلمسان، ورحل إلى المشرق فولي قضاء الإسكندرية، ودمشق، قال السخاوي: "قرأ على ابن حجر صحيح مسلم وغيره، ومات بدمشق، ودفن بمقبرة الفردايس في الجهة الشرقية".⁵³

الصورة الثانية: علماء ترحلوا وأخذوا العلم من أهل المشرق وعادوا إلى بلادهم:

- التنسي: (كان حيا قبل: 737 هـ/1337 م) إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي. أبو إسحاق، فقيه انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب، روى عن ابن كحيله وناصر الدين المشدّالي، وقرأ بتونس على جماعة. رحل إلى المشرق فزار مصر والشام والحجاز، وأخذ عن الشمس الأصبهاني والقرافي والسياف الحنفي. ثم عاد واستقر بتلمسان وتوفي بها سنة 670هـ. من تلامذته: ابن الحاج العبدري صاحب المدخل (737 هـ/1337 م) ومن تصانيفه: شرح التلقين لعبد الوهاب في عشرة أسفار.⁵⁴

يقول بشير ضيف الجزائري: "إنّ للجزائريين تراث ضخم ومتنوع، فقد كانت رحلة الجزائريين إلى شتى البقاع الإسلامية سببا في توزعه عبر مراكز المخطوطات كالمغرب، وتونس،

ومصر، وتركيا، والشام. وفي هذا الموضوع ركزنا على المخطوطات الجزائرية الموجودة في الشام حيث تعد بالعشرات، وتعتبر الشام من أكثر البلاد ثراء من حيث تواجد المخطوطات الجزائرية، بسبب كثافة وتميز العلاقات بين الجزائريين والشاميين.

وتنقسم المخطوطات الجزائرية في الشام إلى قسمين:

1. المخطوطات التي أتوا بها من الجزائر لمؤلفين جزائريين ومغاربة وأندلسيين، ويشمل هذا مخطوطاتهم التي كتبوها في الجزائر.

2. المخطوطات التي اكتشفوها، أو حصلوا عليها أو خطوها بأيديهم في الشام لمؤلفين مغاربة ومشاركة.⁵⁵

المطلب الثاني: جهود علماء الجزائر و تلمسان في خدمة المصنفات والكتب الحديثة:

أولاً: عنايتهم بسماعها، ونقلها والعمل على تدريسها:

كان اهتمام أهل المغرب بالسنة النبوية أمراً بارزاً وواضحاً في تاريخ أهل المغرب وقد تجلت جوانب عنايتهم بالسنة النبوية في بداية الأمر من خلال اهتمامهم بنقل أوائل ما صنّف في الحديث النبوي الشريف والعناية بحفظ هذه الكتب وروايتها بأسانيدها. فكان صعصعة بن سلام الشامي(ت192هـ) هو في الحقيقة أول من أدخل الحديث عموما في الأندلس والمغرب.⁵⁶ وقد بدأت الكتب المصنفة في الحديث النبوي الشريف بالدخول إلى المغرب الإسلامي عن طريق الأندلس ومنها إلى المغرب منذ القرن الثالث الهجري، فدخل موطأ الإمام مالك وقد تميز أهل المغرب بعنايتهم الفائقة برواية الموطأ، فقد كان دخول الموطأ للمغرب الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري. على يد يحيى بن يحيى الليثي الطنجي المصمودي(ت234هـ) عالم المغرب

والأندلس في عصره سمع الموطأ من مالك وسفيان بن عيينة ونشر مذهبه في الأندلس ومنه عرف الموطأ في المغرب⁵⁷.

وأما صحيح البخاري فقد ذكر العلماء أنه دخل عن طريق عمر بن الحسن الهوزني. والواقع أن أول من أدخله إلى الأندلس ثم المغرب هو عبدالله بن إبراهيم الأصيلي (392هـ/1001م). ودخلت سنن النسائي على يد أبي بكر بن الأحمر محمد بن معاوية بن مروان المحدث الأندلسي المتوفى (365هـ/975م)، ولكن الاهتمام بالنسائي لم ينتشر لأنه كان شافعيًا، على الرغم من تفضيل بعض المغاربة لسنن النسائي لأن الإمام النسائي قصد جمع ما ثبت عن الرسول عليه الصلاة والسلام؛ مما يمكن أن يستدل به الفقهاء.

وقد أكب علماء المغرب - كما ذكر ابن خلدون - على صحيح مسلم خاصة، وأجمعوا على تفضيله على كتاب صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى، ومع ذلك فإن المغاربة بذلوا جهودا عظيمة في خدمة صحيح البخاري فاق ما قدموه لصحيح مسلم، ولا أدل على هذا من كثرة المصنفات والشروح التي ألفت من قبل العلماء المغاربة لصحيح البخاري.

ومن مظاهر اهتمام العلماء المغاربة بالمصنفات الحديثية حرصهم على السماع من الشيوخ ونيل إجازات الكتب بأسانيدها فقد كان حرص المغاربة على سماع كتب الحديث في المشرق دافع لتحصيل هذه الكتب بأسانيدها إلى مصنفها، والعودة بها لتدريسها وإقراءها لأهل المغرب، ومنح الطلبة أسانيد وإجازات لهذه المصنفات الحديثية.

"وأعلى سند في الحديث دخل إلى المغرب هو سلسلة محمد بن عبدالله الرجرجي في صحيح البخاري، عن المرغيثي، عن ابن طاهر، عن القصار، عن ابن خروف، بسنده إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري.⁵⁸

ومن الأمثلة على الاهتمام بسماع الكتب بأسانيدها :

1- محمد بن الخضار الكتامي السبتي التلمساني سمع علوم الحديث لابن الصلاح عليه، بدمشق، عام 634هـ.

2- محمد بن أحمد بن إبراهيم التلمساني الأنصاري الأصل السوسي الدار (ت764هـ)
روى عن ابن تيمية مكاتبة.

3- يحيى بن أحمد بن عبد السلام بن رحمون الشرف أبو زكريا بن الشهاب أبي
العباس القسنطيني المغربي المالكي (المتوفى 888هـ). سمع صحيح مسلم عن الزين
الزرکشي ما بين قراءة وسماع، وسمع بمكة على أبي الفتح المراغي ومن ذلك بعض
مشيخته تخريج النجم بن فهد وقرأ بالمدينة على الجمال الكازروني من أول
البخاري إلى الشهادات، وأقرأ شرح النخبة وغيره وروى البخاري ومسلماً والشفاء.⁵⁹
ومن مظاهر اهتمامهم بالمصنفات الحديثية حرصهم على خدمتها من خلال الاهتمام
بغريب الحديث

من مثل كتاب غريب موطأ مالك لمحمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي (ت625هـ)
، قاضي تلمسان، ونزيل فاس ومراكش له⁶⁰. كذلك كتاب (المختار الجامع بين المنتقى
والاستدكار)⁶¹.

وقد ظهر في العصور اللاحقة الاهتمام بالبلاغات لموطأ مالك بن أنس و شرح الأحاديث
والعناية بفقهاء الأحاديث وغيره.

ثانياً: إنشاء المكتبات:

تعدّ المكتبات العلمية من مظاهر النهضة العلمية التي لفتت الأنظار إليها فقد تميزت بها
دور العلم وبيوتاته، وهي وجود المكتبات الكثيرة وبخاصة مكتبات الزوايا وما احتوته ولا زالت
تحتويه من مخطوطات تمثل جزءاً هاماً من تراث الأمة وجبت المحافظة عليه، فقد ظهرت في
تلمسان مثل غيرها من حواضر العالم الإسلامي أسواق الكتب والمكتبات العامة والخاصة ، فعلي
سبيل المثال وجد أحد المهتمين بالكتب التي تعرض بسوق الكتب داخل تلمسان مصحف
عثمان بن عفان رضي الله عنه، الذي كان مع المرابطين، ثم انتقل إلى الموحدين، فأخبر السلطان
يغمراسن والذي ضمه إلى نفائس تلمسان.⁶²

اهتم سلاطين تلمسان بالمكتبات العامة داخل المساجد والمدارس حتى يتمكن الطلبة من الاستفادة ومعرفة كل جديد، من السلاطين الذين اهتموا بإنشاء مثل هذه المكتبات السلطان أبو حمو، الذي أنشأ مكتبة عامة داخل المسجد الكبير سنة 760هـ.

ومن الأمثلة على هذه المكتبات ؛ مكتبة محمد الرجاي ، ومكتبة ابن مريم ومكتبة مدرسة تلمسان، ومن الروايات التي حظيت بهذه الثروات العلمية الهامة زاوية الهامل (بو سعادة) وتحتوي على حوالي 1400 مخطوط، أفاد منها العلامة عبد الرحمن الديسي والشيخ ابن عاشور الخنقي، وزاوية عبد القادر الحمامي، وقصر ملوكة، والتي كانت تضم أكبر خزانة للكتب في المغرب العربي، بالإضافة إلى الزاوية القادرية، والوزانية، والكرزانية، والسنوسية.

ولعل من مظاهر محافظة أهل الجزائر على تراث الأمة وعلومها ما كان يقوم به الكثير من مشايخ توات، والذين كانوا يمتلكون أمهات الكتب، والتي حافظوا عليها بإعادة نسخها كلما دعت الضرورة، حفاظاً على المعارف والعلوم من الاندثار.⁶³

المبحث الرابع: حركة التأليف وعناية أهل الجزائر وتلمسان بالمصنفات الحديثية (صحيح البخاري نموذجاً):

تميز علماء المغرب عامة والجزائر بعنايتهم البالغة لروايات صحيح البخاري من مختلف طرقها، حيث حرص أهل المغرب والأندلس على تعهد صحيح البخاري وحفظه من مختلف طرقه، وقد شكلت هذه ميزة كبيرة للمغاربة.

"وقد أقبل المغاربة على حفظ صحيح البخاري وتناقله بأسانيده ، ومن أكثر الروايات انتشاراً بالنسبة للمغرب الإسلامي عموماً، رواية أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري، التي انتقلت بواسطة طرق متعددة من أشهرها ست روايات وهي:
1- رواية أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي (ت376هـ).

- 2- رواية أبي عبدالله السرخسي (ت381هـ).
- 3- رواية أبي الهيثم محمد بن مكى الكشميهني(ت389هـ)
- * وهذه الطرق الثلاثة رويت عن طريق أبي ذر الهروي عبد بن أحمد(434هـ).
- 4- رواية أبي علي بن السكن (ت353هـ)
- 5- ورواية أبي زيد محمد بن أحمد المروزي(ت371هـ).
- 6- رواية أبي أحمد محمد بن محمد بن يوسف الجرجاني (ت373هـ)، رواها عنه أيضا عبدالله بن إبراهيم الأصيلي.⁶⁴
- أشهر طرق صحيح البخاري ورواتها عند أهل المغرب:
- 1) رواية الأصيلي : روى عنه من المغاربة أبو عمران الفاسي(430هـ): موسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي، روى صحيح البخاري عن الأصيلي(392هـ)، وأبو الحسن بن القاسبي (403هـ)، وروى عن أبي عمران الفاسي القاضي عياض السبتي، وابن عطية الأندلسي .
- 2) رواية كريمة بنت أحمد المروزية(ت463هـ) :
- حيث روى الصحيح عنها من نزيل فاس: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الشارفي الأندلسي (ت500هـ). وعنه أخذ المغاربة.
- 3) رواية أبي ذر الهروي عبد بن احمد عن مشايخه الثلاثة (المستملي، والسرخسي، والكشميهني): وهي أتقن الروايات كما ذكر ابن حجر في فتح الباري أخذها عنه أربعة من المغاربة وهم :
- أ- أبو بكر بن محرز السلجماسي، سمع منه عام 413هـ.
- ب- يوسف بن حمود خلف الصدفي السبتي (ت428هـ).
- ج- أبو عمران الفاسي(433هـ).
- د- ابن الغرديس: بكار بن برهون بن عيسى التغلبي الفاسي ثم السلجماسي ، كان على قيد الحياة سنة(492هـ)، وقد عمر طويلا حتى بلغ المائة أو يزيد، وابن الغرديس من أشهر المحدثين الذين

رووا صحيح البخاري في المغرب الأقصى، ومن تلاميذه المغاربة الذين اشتهروا بالرواية عنه : ابن فرتون: إبراهيم بن أحمد بن خلف السلمي الفاسي (ت538هـ).

ولم تقتصر عناية المغاربة بصحيح البخاري من قبل العلماء وإنما كان الأمراء يحرصون على سماع صحيح البخاري أيضا:

من أمثال : الأمير المرابطي: أبا عمر بن ميمون بن ياسين الصنهاجي الملتوني (ت530هـ) سمع صحيح البخاري بمكة المكرمة من أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر عن أبيه ،وابتاع منه أصل أبيه بخطه، وسمع عليه فيه عام (497هـ) وعاد بهذا الأصل إلى المغرب⁶⁵.

وقد تنوعت جهود علماء الجزائر وتلمسان في خدمة صحيح البخاري لتشمل الاهتمام بشرحه ومشكلاته وغريبه، ورجاله، وغيرها.
أولاً: شروح صحيح البخاري:

يقول ابن خلدون :ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا رحمهم الله يقولون شرح كتاب البخاري دين على الأمة،يعنون أنّ أحدا من علماء الأمة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار"⁶⁶.
وقد فسّر ابن خلدون كلامه هذا بسبب أن الناس استصعبت شرح صحيح البخاري، واستغلقوا منحاه؛ من أجل ما يحتاج إليه من معرفة الطرق المتعددة، ورجالها من أهل الحجاز، والشام، والعراق، ومعرفة أحوالهم واختلاف الناس فيهم. وذلك يحتاج إلى إمعان النظر في التفقه في تراجمه؛ لأنه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث مسنداً أو طريق ثم يترجم أخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب. وكذلك في كل ترجمة إلى أن يتكرر الحديث في أبواب كثيرة بحسب معانيه، واختلافها ،ومن شرحه ولم يستوف هذا فيه فلم يوف حق الشرح كابن بطلال وابن المهلب وابن التين ونحوهم.⁶⁷

ومع ذلك فإنّ العلماء المغاربة بذلوا جهودا كبيرة في محاولة خدمة صحيح البخاري وشرحه. ويعد أول شرح لصحيح البخاري وهو كتاب (النّصيح) لشيخ الإسلام أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني المتوفى (402هـ) بتلمسان⁶⁸. وهو كتاب جليل حاز به الفضل على غيره من

جميع من تقدمه أو تأخر عنه من علماء الإسلام، و يعد شرح النصيح أول شرح وضع على صحيح البخاري.

وقد سار البوني أبو عبد الملك مروان بن علي الأسدي (المتوفى قبل الأربعين والأربعمئة)، وهو تلميذ أبي جعفر بن نصر الداودي على نهج شيخه فألف كتاب شرح البخاري.⁶⁹

ومن العلماء الذين كانت لهم جهود في شرح صحيح البخاري العلامة الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر محمد بن مرزوق التلمساني، الشهير بلقب الخطيب والجد والرئيس (710-781هـ) من أبرز الشخصيات الجزائرية التي عرفها العالم في القرن الثامن الهجري، وله شرح على صحيح البخاري.

وكذلك الشيخ العلامة الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن بكر بن محمد بن مرزوق بن عبد الله العجيسي، المعروف بابن مرزوق الحفيد التلمساني (ولد 766هـ)، وله جزآن من شرح البخاري كلاهما كان موجودا بمكتبة الجامع الجديد بالجزائر وهما بخط المؤلف، ثم فقد الجزء الأول منهما وبقي الثاني ولا يزال الجزءان بخزانة الجامع الجديد تحت عدد: 143 و 443 وسمي شرحه: (المتجر الرياح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح والوجه الصبيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح)⁷⁰. وهو من أوسع الشروح وأغزرها مادة وأجزلها مباحث، وربما هو كما قال مؤلفه: أغنى من الشروح الكاملة.⁷¹

وكذلك الإمام العلامة الحافظ شرف الدين يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن علي بن عمر بن عقيل الزرمانى العجيسى (777-862هـ)، فقد شرع في شرح الصحيح.⁷²

ومن هؤلاء العلماء أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني الحسني من جهة الأم، المالكي، عالم تلمسان وصالحها ولد سنة اثنتين وثمانمئة للهجرة، وتوفي

سنة خمس وتسعين وثمانمائة. له شرح الجامع الصحيح للبخاري، لكنه لم يكمله، ووصل فيه إلى باب من استبرأ لدينه وعرضه، وذكره صاحب شجرة النور وصاحب تعريف الخلف وسماه الشرح العجيب على البخاري، كما أنّ له شرح مشكلات البخاري في كراسين، ومختصر الزركشي على البخاري أيضاً.⁷³

ثانياً: في ضبط الاختلاف بين الروايات وضبط الألفاظ وبيان المعنى:

وممن اعتنى بهذا المجال من علماء الجزائر الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني الحمزي المولود سنة 505هـ، والمتوفى بفاس سنة 569 هـ. له كتاب: مطلع الأنوار على صحاح الآثار صنفه على مثال مشارق الأنوار للقاضي عياض. جمع فيه بين ضبط الألفاظ واختلاف الروايات وبيان المعنى، وخصه بالموطأ وصحاح البخاري ومسلم.⁷⁴ منه نسخ في جامعة القرويين بفاس رقم: 594، 624، 1641 والقاهرة، كما توجد منه نسخ في المكتبات التركية.⁷⁵

ثالثاً في ضبط رواة الصحيحين:

ومن علماء تلمسان من اعتنى برواة الحديث وضبطهم فألف في ذلك من أمثال محمد بن الحسن بن مخلوف بن مسعود المزيلي الراشدي، أبو عبد الله: فقيه مالكي محدث. من أهل تلمسان يعرف بأبركان (ومعناها بالبربرية: الأسود) وهو لقب أبيه. وله (المشعر المهيأ في ضبط مشكل رجال الموطأ)، و (الزند الواري في ضبط رجال البخاري) و (فتح المبهم في ضبط رجال مسلم).⁷⁶

رابعاً: في وضع المختصرات:

وهذه من سمات الجهود الحديثية عند المتأخرين، حيث كان يعتمد بعض العلماء ويضع بعض المختصرات لبعض كتب الحديث وشروحه، وأمثلة ذلك مختصر البخاري للشيخ يحيى بن أحمد بن عبد السلام بن رحمون بن شرف الدين أبو زكريا (ت888هـ)، من أهل تلمسان.⁷⁷

ومن صور هذه المختصرات ما قام به الرصاع التلمساني محمد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري (831-894هـ)؛⁷⁸ في اختصاره شرح صحيح البخاري للحافظ بن حجر العسقلاني.⁷⁹ وله كتاب (التسهيل والتقريب والتصحيح لرواية الجامع الصحيح).⁸⁰

خامسا: في تناول منهج البخاري في صحيحه:

ومن ذلك ما ألفه الشيخ العلامة الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن أحمد ، المعروف بابن مرزوق الحفيد التلمساني كتاب "أنوار الدراري في مكررات البخاري".

المبحث الخامس: أبرز الأعلام والمحدثين الجزائريين في تلمسان ونواحيه

يتناول هذا المبحث عرض نماذج من علماء تلمسان ممن كان لهم جهود في مجال الحديث النبوي الشريف، في كل قرن من القرون السابقة، في هذا تأكيد على استمرار طلب العلم وطلب الحديث والعناية به من قبل أهل تلمسان عبر القرون، إذ لم يخل قرن من القرون من وجود ثلة من علماء تلمسان قدموا للسنّة النبوية، و اعتنوا ف.

القرن الرابع الهجري:

إبراهيم بن عبدالرحمن التنسي، أبو إسحاق الفقيه، من أهل تنس، دخل الأندلس وسكن مدينة الزهراء وسمع من أبي وهب بن مسرة الحجازي وأبي علي القالي، وكان في جامع الزهراء يفتي ومات في صدر شوال سنة 307.⁸¹

القرن الخامس الهجري:

- الشيخ أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي⁸²:

أصله من مدينة المسيلة، ومن مواليدها وقيل من مواليد واحة ليانة بأعمال بسكرة، حيث يوجد له مسجد ومقبرة يحملان اسمه. وكان فقيهاً فاضلاً متفنناً مؤلفاً مجيداً، له حفظ من اللسان والحديث والنظر، وقف ضد الشيعة الفاطميين وكفر كل من يدعو لهم على المنابر، رحل إلى طرابلس وأقام بها مدة، ثم عاد وقصد إلى تلمسان فراراً من الشيعة، وبها توفي عام (402 هـ/1011م)، ومن كتبه وجهوده العلمية التي خلفها:

- النامي، وهو شرح لكتاب موطأ الإمام مالك في الفقه والحديث.
- النصيحة، وهو شرح لكتاب صحيح البخاري في الحديث.
- كتاب تفسير القرآن الكريم الذي استفاد منه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره: جواهر الحسان.

وغيرها من الكتب والجهود العلمية.

وقد كان هناك ثلة من علماء المشرق والمغرب ممن أفادوا من علمه، أذكر منهم:

- أصبغ بن الفرج بن فارس الطائي، من أهل قرطبة، ويكنى: أبا القاسم. أخذ عنه الإجازات.⁸³

- البوني مروان بن علي الأسدي بن القطان، صحب أبا جعفر الداودي خمسة أعوام، وأخذ عنه معظم ما عنده من روايته وتواليغه. وله كتاب مختصر في تفسير الموطأ.⁸⁴

- هشام بن عبد الرحمن بن عبد الله، يعرف بابن الصابوني (ت423هـ)؛ من أهل قرطبة؛
يكنى: أبا الوليد. فقد سمع من أبي جعفر وأفاد من علمه، وله كتاب في تفسير البخاري
على حروف المعجم، كثير الفوائد.⁸⁵

القرن السادس:

- إبراهيم بن حماد، أبو إسحاق القلعي: فقيه مالكي، من أهل قلعة بني حماد. له رواية عن أبي
علي الصدفي، ويحدث عنه أبو عبد الله بن الرمامة أبو القاسم بن بقي وغيره.⁸⁶
الصيقل؛ موسى بن عيسى بن علي بن محمد بن أحمد المري التلمساني (بعد 541هـ) محدث
حافظ من فقهاء المالكية، من أهل تلمسان، وبها نشأ وتعلم، سمع في مرسية من القاضي أبي
علي الصدفي المتوفي سنة (514هـ).⁸⁷

القرن السابع الهجري:

- أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني، وأبو العباس: فقيه مالكي، مؤرخ، له
مشاركة في علوم الحديث والتفسير والعربية والمنطق. تعلم ببجاية وتونس، فأخذ عن محمد بن
عبد العزيز القيسي وعبد الحق بن ربيع وأحمد بن عيسى الغماري، وأبي القاسم بن أبي بكر الشهير
بابن زيتون، وأحمد بن خالد المالقي. وقد بلغ عدد الشيوخ الذين أخذ عنهم نحو السبعين شيخاً
من أعلام شيوخ المغرب الأوسط وتونس والأندلس.⁸⁸

- محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي اليعفري التلمساني (536-625هـ) له مخطوط
"منظومة في رجال الإمام البخاري"، ومخطوط "غريب الموطأ" و "المختار في الجمع بين
المنتقى و الاستذكار" وهذا المخطوط يقع في عشرين سفراً نحو ثلاثة آلاف ورقة.⁸⁹

-محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي(ت628)، أبو عبدالله، مؤرخ، شاعر، أديب، له مشاركة في علوم اللغة والفقه والحديث. نشأ ببرج حمزة قرب البويرة وتعلم في قلعة بني حماد وبجاية ومدينة الجزائر وتلمسان. الأعلام بفوائد الأحكام لعبد الحق الأشيلي، وتلخيص تاريخ الطبري، وشرح الأربعين حديثاً.⁹⁰

القرن الثامن الهجري:

-إبراهيم بن عبدالرحمن بن محمد بن الإمام التلمساني، فقيه، حافظ، له مشاركة في بعض العلوم، من أهل تلمسان انتقل إلى فاس، واستقر بها إلى أن مات سنة (797 هـ).⁹¹

-محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني(ت764هـ)، ويعرف بالمرى فقيه مالكي، نشأ بتلمسان، أخذ عنه الونشريسي.

-ابن مرزوق الجد (ت781هـ):

محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي أبو عبد الله شمس الدين، فقيه من أعيان تلمسان، رحل إلى المشرق سنة 718 هجرية مع والده وأقام بمصر مدة وعاد إلى تلمسان، تولى أعمالاً علمية وسياسية بها ثم رحل إلى القاهرة واستمر بها إلى أن توفي له كتب في الحديث منها: "تيسير المرام شرح عمدة الأحكام في الحديث" في خمسة أسفار، وشرح الأحكام الصغرى، لعبد الحق الأشيلي، و"شرح الشفا"، و"المسند الصحيح الحسن في أخبار السلطان أبي الحسن"، وله "شرح صحيح البخاري"، والأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء. وغيرها من المؤلفات.⁹²

-⁹³الحفيد ابن مرزوق (766 - 842 هـ = 1364 - 1438 م) محمد بن أحمد بن محمد، ابن مرزوق العجيسي التلمساني، أبو عبد الله، المعروف بالحفيد، أو حفيد ابن مرزوق: عالم بالفقه والأصول والحديث والأدب. ولد ومات في تلمسان، ورحل إلى الحجاز والمشرق.

له كتب وشروح كثيرة ، منها " المفاتيح المرزوقية لحلال أقفال واستخراج خبايا الخزرجية، و " أنواع الذراري في مكررات البخاري " و " نوراليقين في شرح أولياء الله المتقين " و " تفسير سورة الإخلاص " على طريقة الحكماء، وثلاثة شروح على " البردة " و " المتجر الربيع " في شرح صحيح البخاري لم يكمل، وكان منها جزآن الأول والثاني، بخطه في الجامع الجديد بالجزائر، ثم فقد لأول، و " الروضة - خ " رجزفي علم الحديث".

القرن التاسع:

محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني، ثم التونسي، أبو عبد الله، ويعرف بالرصاع(ت894هـ)، نشأ بتلمسان، وعاش بتونس، من مؤلفاته: " التسهيل والتقريب والتصحيح لرواية الجامع الصحيح"، وله " وتذكرة المحبين في شرح أسماء سيد المرسلين".⁹⁴

خاتمة

إنّ المتتبع لجهود علماء الجزائر عامة وأهل تلمسان خاصة يجد أنّ هناك توافقاً بين ما قدّمه علماء الجزائر وإخوانهم من علماء المغرب الأقصى و الأندلس، إذ أنّ جهود المغاربة في حفظ الدين وحفظ العلوم والاشتغال بها لم تقل درجة عن جهود أهل المشرق. ويعتبر إقبال أهل المغرب على الرحلة في طلب الحديث وملازمة كبار المحدثين في عصورهم، وارتداد المجالس العلمية، والحرص على السماع منهم سبباً في التشجيع على طلب العلم والحديث خاصة و من ذلك حرصهم على طلب علوم الحديث وتحصيل الإجازات والسماعات حيث ساهم بشكل فعّال في تعزيز حركة العلم واستمرارها، وازدهارها في بلاد المشرق كما حصل في الشام ومصر وفلسطين.

ومن الميزات التي امتاز بها علماء تلمسان خاصة وعلماء المغرب عامة حرصهم على اقتناء المؤلفات والمصنفات الحديثية ونشرها مما ساهم في نشر العلوم المختلفة، وتنشيط حركة النسخ وظهور النسخ، فقد كانوا حلقة وصل ساهمت في تعريف أهل المغرب بجهود إخوانهم

من أهل المشرق. وهذا يفسر ظاهرة وجود المكتبات الزاخرة بمختلف التصانيف في مختلف العلوم في الجزائر وتلمسان وكثرة ما فيها من مخطوطات للكثير من المؤلفات المشرقية في مجال الحديث النبوي وعلومه المختلفة. وهذا الأمر ساهم في حفظ تراث الأمة، ولا زالت آلاف المخطوطات في الجزائر وتلمسان والمغرب العربي تنتظر تظافر جهود أبنائها لخدمة هذه المخطوطات التي لا تزال تحوي الكثير من كنوز العلم والمعرفة والتي خلفها السلف للخلف.

كما أن إقبال أهل تلمسان على الاهتمام بالمصنفات الحديثية وبخاصة أمهات الكتب كالصحيحين وموطأ الإمام مالك جعل لعلمائها مع إخوانهم المغاربة مكانة علمية هامة ومبرزة ساهمت في تقديم خدمات جليلة انتفع بها أهل المشرق والمغرب على حد سواء، تجلّى في الجهود العلمية التي قدمت للمصنّفات الحديثية من خلال كتب الشروح المتعددة، والمختصرات، وكتب الغريب، وكتب اللغة التي اعتنت بجوانب الإعراب والنحو والضبط والتي ساهمت في خدمة الحديث وعلومه. وهذه الجهود المباركة عملت على استمرارية الحركة العلمية ونشاطها.

كما كان لعلماء تلمسان أثر في تأصيل منهج التحليل والنقد من خلال جهودهم في نقد المتون، وعلوم الحديث.

ونوه هنا إلى أهمية إدراك كل مسلم لهذه الجهود العلمية المباركة التي كان لها أكبر الأثر في نهضة الأمة، عندما التقت جهود المشاركة بإخوانهم المغاربة وكان كل منهم حريص على الاستفادة من علم الآخر، ولعل هذه توصية أود الخروج بها من هذه المداخلة والتي تلقي على عاتقنا اليوم إعادة النظر في الجهود المبذولة لخدمة الدين والسنة النبوية و الحاجة إلى توحيد الطاقات من خلال العمل في مشروعات علمية تتكاتف فيها جهود المسلمين من مختلف الأقطاب، ولعل هذا ما أراده الدكتور الفاضل عبد الحي الكتاني في خضم حديثه عن الصورة المشرقة لتاريخ المشاركة بالمغاربة في طلب العلوم والحديث بقوله:

"...إنّ مات طلع عليه من ارتباط أسانيد المغاربة بالمشاركة، وتعويل الآخريين على الأولين في

ميدان المكافحة والمسابقة، وتصدير المشاركة عند رواياتهم بأئمة المغرب، وتناول أعلام

المغرب وافتخارهم بالأخذ عن فطاحلة المشرق، تعلم ما كان بين المسلمين قديما منسنيا لاتصالات ووافر الروابط وكبير الصلات، وجعل لكل تقليد جيد هب عد الحج والزيارة بوسع الرواية، والتعزز بعز الإجازة أفخر المقاصد وأبهجها، وأوسع المتاجر وأربحها، مما يبرهن لك عن مقدار تقدمهم وارتقائهم، وكبير عزهم وعظيم استغنائهم، فلما انحلت روابطهم وتشتت جامعتهم ونسوا أو تناسوا دينهم ودنياهم؛ أفل نجمهم وكسفت شمسهم. سنة الله في الذين خلوا منقبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا ونطلب الله أن يحيي ما مات ويخلف علينا ما فات".⁹⁵

الإحالات:

- ¹ التليدي، محمد بن عبد الله، تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، لبنان (1416هـ-1995م)، في تقديمه للكتاب. ص6.
- ² لم أقف عليها، وقد حاولت الحصول على هذه الكتب للإطلاع عليها فلم أتمكن من تحصيلها لعدم توفرها، ولكن أحبيت أن أوردتها لعل القارئ يستطيع تحصيلها للفائدة.
- ³ نوري معمر، محمد بن وضاح القرطبي مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس مع بقي بن مخلد، طبع في الرباط: مكتبة المعارف.
- ⁴ البشير علي حمد الترابي، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، ط1، طبع في بيروت، دار ابن حزم.
- ⁵ عبد اللطيف بن محمد الجيلاني، الحافظ ابن رشيد السبتي الفهري، وجهوده في خدمة السنة النبوية، طبع في بيروت، دار البشائر.
- ⁶ تحقيق: محمد الهاشمي الفيلاي، الرباط: دار المنصور للطباعة، 1972م.
- ⁷ بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.
- ⁸ عبد الحفيظ قطاش بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.
- ⁹ الكتاني، يوسف، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، بيروت: دار الغرب.
- ¹⁰ شواط، الحسين بن محمد، مدرسة الحديث في القيروان، ط1، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، 1411هـ.
- ¹¹ د.حواله، يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، ط1، جامعة أم القرى، مكة، 1421هـ/2000م، ص8.
- ¹² د.شواط، مدرسة الحديث في القيروان، ص57.
- ¹³ د.شواط، مدرسة القيروان(54/1).
- ¹⁴ شواط، مدرسة الحديث في القيروان، ص996.
- ¹⁵ المرجع السابق، ص996.
- ¹⁶ المرجع السابق، ص998.
- ¹⁷ جمع إملاء :

وهو من وظائف العلماء قديماً خصوصاً الحفاظ من أهل الحديث في يوم من أيام الأسبوع يوم الثلاثاء أو يوم الجمعة وهو المستحب كما يستحب أن يكون في المسجد لشرفهما وطريقهما فيه أن يكتب المستملي في أول القائمة : هذا مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا، ويذكر التاريخ ثم يورد المملي بأسانيد أحاديث وآثاراً، ثم يفسر غريبها ويورد من الفوائد المتعلقة بها بإسناد أو بدونه ما يختاره ويتيسر له وقد كان هذا في الصدر الأول فاشياً كثيراً ثم ماتت الحفاظ وقل الإماء، الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، ط4، تحقيق محمد المنتصر الكتاني، بيروت: دار البشائر، 1986م، ص160.

¹⁸ حميداتو، مصطفى محمد، مدرسة الحديث في الأندلس، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 2007م.

¹⁹ أنظر د. حميداتو، مدرسة الحديث في الأندلس، ج2، ص766-772.

²⁰ والملفت في الموضوع هنا هو أن الأندلس دخلها كثير من روايات الموطأ على يد عدد من مشاهير الرواة من أمثال: يحيى بن يحيى الليثي (ت234هـ) على يد يحيى بن عبدالله بن بكير (ت231هـ) وموطأ عبدالله بن مسلمة القعني وغيرهم 220. فمسألة الاعتناء بروايات الكتاب الواحد ونسخه كانت ظاهرة بارزة عند مدرسة الحديث في المغرب، عموماً.

²¹ من أشهر الطرق التي روي بها صحيح البخاري في الأندلس رواية الأصيلي عبدالله بن إبراهيم (ت440هـ) وهي أولى روايات صحيح البخاري وصولاً إلى الأندلس، وكذلك رواية أبي ذر الهروي عبد بن أحمد (ت434هـ).

²² الكتاني، يوسف، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، بيروت: دار الغرب.

²³ ذكر كثير من المؤرخين: إن حد المغرب هو من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب وحده مدينة سلاء، وبهذا يدخل فيها (طرابلس) بلاد الجريد، ومدينة تيهرت، وبلاد طنجة بلاد المغرب، وبلاد السوس.

وذكر ابن حمادة "أن حد المغرب من بحر القلزم وهو الهابط من اليمن إلى عدن إلى عيذاب إلى القلزم وإلى مصر قبلة وشرقاً، وحد المغرب من الجوف البحر الشامي وهو بحر الإسكندرية وهو المتفرغ في بحر الزقاق من جزيرة طريف وعلامته صنم قادس، وحد المغرب من الغرب البحر المحيط المسمى الابلاية وصار المغرب كالجزيرة دخل فيه بعض أعمال مصر وأفريقية كلها والزاب والقيروان والسوس الأدنى والسوس الأقصى وبلاد الحبشة ومنه يتفرغ نيل مصر". انظر كتاب ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب (5/1).

²⁴ الحموي، الحموي، معجم البلدان للحموي، ج4، ص130.

²⁵ تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ج1، ص54.

²⁶ انظر: الحموي: معجم البلدان، ج4، ص130، وشمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أيوب ابن البناء (336هـ-380هـ)، أحسن

التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج1، ص80، وتعريف البلدان بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ص54.

²⁷ الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار محمد الحميري، ط2، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: مؤسسة

ناصر للثقافة، 1980م، ص135.

²⁸ تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية، مرجع سابق، ص385.

²⁹ التلمساني، أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1968، ج7، ص

133. وانظر الطمار، محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية، ص7.

³⁰ الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة طبع على

مطابع دار السراج، 1980 م ص135.

- ³¹ انظر، شقدان، بسام كامل عبد الرزاق، تلمسان في العهد الزياني، (رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2002م) ص 11-50. باختصار.
- ³² نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، ط1، بيروت: منشورات المكتب التجاري، 1971م، ص5.
- ³³ د.حواله، يوسف بن احمد، أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك، والكتاب هو عبارة عن أطروحته للدكتوراة، و التي قدمها لجامعة أم القرى، مكة المكرمة، بعنوان (الحياة العلمية في إفريقية(المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري(90هـ-450هـ))، 1421هـ-2000م. و المغرب الأدنى في العصر الإسلامي يقصد به (إفريقية،وهي تشمل اليوم البلاد التونسية كلها، وولاية طرابلس شرقاً،وغرباً حتى بجاية في ولاية قسنطينية بالجزائر) ص:8.
- ³⁴ المرجع السابق، ص 8.
- ³⁵ ابن خلدون، المقدمة، ص37.
- ³⁶ عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، ص50، و ص78-90، باختصار، وانظر شقدان، تلمسان في العهد الزياني، ص 221.
- ³⁷ د.الشواط، مدرسة الحديث في القيروان،(1/444)
- ³⁸ د.محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب، ص(87-90) باختصار.
- ³⁹ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص142.
- ⁴⁰ ابن قنفذ، الوفيات، ص3-6، والتبكي، نيل الابتهاج، ص75-76.
- ⁴¹ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 108.
- ⁴² عزوز، محمد، مدرسة الحديث في بلاد الشام، ط1، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 2000م، ص606. بتصرف.
- ⁴³ المرجع السابق، ص606-608.
- ⁴⁴ ذكرهم المقريء في نفع الطيب.
- ⁴⁵ انظر: عبد العزيز، محمد عادل، التربية الإسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م، ص(29-34).
- ⁴⁶ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج3، ص17.
- ⁴⁷ عبد العزيز، التربية الإسلامية، ص35.
- ⁴⁸ شقدان، تلمسان في العهد الزياني، ص237.
- ⁴⁹ انظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص128، و السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، ص61، و الزركلي، الأعلام، ج8، ص153.
- ⁵⁰ التبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص121، وخليفة، كشف الظنون، ج1، ص1986، وكحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص150.
- ⁵¹ السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص93.
- ⁵² "ولد طناً بعيد القرن وحفظ القرآن وكتباً، واشتغل ببلده وغيرها على جماعة منهم قاضي الجماعة عمر القلشاني؛ وقدم القاهرة وقد فضل بحيث قال أنه لم يكن يفتقر إلى أحد في الاشتغال، ولكنه تقوى بالأخذ عن ابن الهمام والقاياتي ومما قرأه عليه شرح ألفية الحديث بتمامه، وأخذ عن شيخنا بعضه بل حضر مجلسه في الأمالي وغيرها وحضر يسيراً عند البساطي، وحكى لي مباحثة وقعت بينه وبين القرافي بحضرته. وأخذ صحيح مسلم عن الزين الزركشي ما بين قراءة وسماع، وحج في سنة إحدى وأربعين وسمع بمكة على أبي الفتح المراغي ومن ذلك بعض مشيخته تخريج النجم بن فهد وقرأ بالمدينة على الجمال الكازروني من أول البخاري إلى الشهادات، وعاد ففطن القاهرة وأدب أولاد القاياتي، كان يقرأ عليه ولما ولي القضاء استنابه في تدريس المنصورية وارتفق بإحسانه وبره. وتصدى قبل ذلك وبعده للتدريس بجامع الأزهر وغيره. وانتفع به الفضلاء سيما في الفقه وصار بأخرة أوجد الجماعة فيهم، ثم حج في سنة خمس وسبعين ففطن مكة، و انتفع به الفضلاء أيضاً في الفقه وأصوله

والعربية وغيرها كالمنطق والمعاني والبيان وأصول الدين. بل أقرأ شرح النخبة وغيره وروى البخاري ومسلماً والشفا وغيرها وامتنع من الكتابة على الفتيا تورعاً إلا باللفظ كما أنه لم يأذن لأحد فيها وفي التدريس بها إلا لمعمر ولليحيى أحد ملازميه بالقاهرة وللبدر بن المحب الخطيب. وبلغني أنه كتب على المدونة والمختصر والرسالة والبخاري وقد لقيته بالقاهرة ثم بمكة وبالغ في التواضع معي والإقبال علي. مات في عصر يوم الاثنين رابع ربيع الثاني سنة ثمان وثمانين وصلي عليه بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة ثم دفن بالمعلاة في تربة ابن الزمن وكان مقيماً برباطه رحمه الله وإيانا". السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص216.

⁵³ السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص306.

⁵⁴ نيل الابتهاج، ص35، وانظر كحالة معجم المؤلفين، ج1، ص128.

⁵⁵ الجزائري، بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر، معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، الجزائر، 2002م، ج1، ص118.

⁵⁶ ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة، (1/240).

⁵⁷ عبد العزيز بن عبد الله، معجم المحدثين، ص39.

⁵⁸ عبد العزيز بن عبد الله، معلمة القرآن والحديث، ص99.

⁵⁹ انظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص216.

⁶⁰ عبد العزيز بن عبد الله، معلمة القرآن والحديث، ص109.

⁶¹ عبد العزيز بن عبد الله، معلمة القرآن والحديث، ص108.

⁶² انظر، شقدان، تلمسان في العهد الزياني، ص243، نقلاً من: التنسي، نظم الدرر، ص123.

⁶³ انظر: ابن عمر الجزائري، فهرست ومعلمة التراث الجزائري، ص94-105. فقد أورد أسماء العديد من مكاتب الجزائر العامة والخاصة، والزوايا وغيرها وذكر عن بعضها معلومات هامة حول مقتنياتها من كتب ومخطوطات.

⁶⁴ د. حميداتو، مدرسة الحديث في الأندلس، (1/152-157).

⁶⁵ المنوني، صحيح البخاري في الدراسات المغربية، ص61.

⁶⁶ تاريخ ابن خلدون - (ج1 / ص443)

⁶⁷ تاريخ ابن خلدون - (ج1 / ص443).

⁶⁸ "أصله من مدينة المسيلة وقيل من بسكرة، سكن طرابلس الغرب وبها أملى كتابه "النامي" شرحاً للموطأ، توجد منه نسخة في مكتبة القرويين

بفاس تحت رقم 527. نزل تلمسان فأقام بها إلى وفاته. وله تفسير للقرآن المجيد تداوله العلماء فنقلوا عنه. قال ابن فرحون: كان فقيهاً

فاضلاً متقناً مؤلفاً مجيداً له حظ من اللسان والحديث والنظر. ألف كتابه "النامي" في شرح الموطأ، والواعي في الفقه و"النصيح" في شرح البخاري

والإيضاح في الرد على القدريّة، وغير ذلك. وكان درسه وحده، لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور وإنما وصل إلى دراهمه. حمل عنه أبو عبد

الملك البوني وأبو بكر بن محمد بن أبي زيد. توفيت تلمسان سنة 402 هـ. وقبره عند باب العقبة". ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة علماء

المذهب، ص21.

وقال ابن حجر في معجمه: كتاب شرح الموطأ وكتاب شرح البخاري كلاهما تأليف أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي التلمساني أنبأنا بهما

أبو علي الفاضلي عن أحمد بن أبي طالب عن جعفر بن علي عن محمد بن عبد الرحمن الحضرمي عن عبد الرحمن بن محمد بن عتاب عن يوسف

بن عبد الله النمري (ابن عبد البر) عنه إجازة ومات سنة اثنتين وأربعمائة."

⁶⁹ ابن بشكوال، الصلة، ص200.

⁷⁰ السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص50.

⁷¹ انظر حميداتو، عناية علماء الجزائر بصحيح البخاري، ص4.

⁷³ انظر: مخلوف، شجرة النور، ج 1، ص 266، تعريف الخلف ج 1، ص 188، الباباني، هدية العارفين ج 2، ص 216، سركيس، معجم المطبوعات ص 1058.

⁷⁴ "أبو إسحاق بن قرقولوا لوهرائي، الحمزي. وحمزة: موضع من عمل بجاية. ولد بالمريّة. وسمع من: جدّة لأمه أبي القاسم بن ورد، وأبي الحسن بن نافع. وروى عن خلق منهم: أبو عبد الله بن زغبة، وأبو الحسن بن معدان ابن اللوان، وأبو عبد الله بن الحاج، وأبو العباس بن العريف. وأخذ عن أبي إسحاق الخفاجي ديوانه. قال الأبار: وكان رحلاً في العلم فقيهاً نظاراً، أديباً، حافظاً، يبصر الحديث ورجاله. صنف وكتب الخط الأنيق، وأخذ الناس عنه. وانتقل من مالقة إلى سبتة، ثم إلى سلا، ثم إلى فاس، وبها توفي في شعبان". الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 39، ص 332.

[تاريخ الإسلام للإمام الذهبي 332 / 39]

⁷⁵ حميداتو، عناية علماء الجزائر بصحيح البخاري، بحث علمي منشور على الشبكة العنكبوتية، ص 2.

⁷⁶ انظر: الباباني، هدية العارفين، ج 2، ص 203، الزركلي، الأعلام، ج 6، ص 88. وكنالة، معجم المؤلفين، ج 9، ص 221.

⁷⁷ السخاوي، الضوء اللامع، ج 10، ص 216، التبيكي، نيل الابتهاج، ص 636. تقدمت ترجمته، وقد ذكر د. حميداتو في بحثه عناية علماء الجزائر بصحيح البخاري، أنه من أهل تلمسان، وأشار إلى وجود مختصر له لصحيح البخاري.

⁷⁸ قال السخاوي في ترجمته: "محمد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري التلمساني ثم التونسي المغربي المالكي ويعرف بابن الرصاع بمهملتين والتشديد صنعة لأحد آبائه. ممن أخذ عن أحمد وعمر القلشانيين وابن عقاب وآخرين كأبي القسم البرزلي، وولي المحلة ثم الأنكحة ثم الجماعة ثم صرف نفسه في كائنة صاحبنا أبي عبد الله البرنيتشي واقتصر على إمامة جامع الزيتونة وخطابته متصديماً للإفتاء وإلقاء الفقه وأصول الدين والعربية والمنطق وغيرها وجمع شرحاً في شرح الأسماء النبوية وآخر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأفرد الشواهد القرآنية من المغنى لابن هشام ورتبها على السور وتكلم عليهما وشرح حدود ابن عرفة". ج 10، ص 287.

⁷⁹ كذا ذكر السخاوي في الضوء اللامع، عندما ذكر هذا المختصر، بقوله: "بلغني أنه شرع في تفسير وأنه اختصر شرح البخاري لشيخنا وعندنا أنه انتقاء لا اختصار وبلغنا أنه في سنة أربع وتسعين على خطة". انظر ج 8، ص 287.

⁸⁰ الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 5. وذكر الزركلي بأن للرصاع كتباً أخرى من مثل: "الهداية الكافية، في الحدود الفقهية لابن عرفة (مطبوع)، (الجمع الغريب في ترتيب أي مغنيالليب. مخطوط في الأحمدية بتونس) و(فهرسة الرصاع (مطبوع)، وتحفة الأخيار فيالشمائل النبوية. وغيرها

⁸¹ بغية الملتبس، ص 204. الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 427.

⁸² القاضى عياض، ترتيب المدارك، وترتيب المسالك، ج 1، ص 497.

⁸³ انظر: ابن بشكوال، الصلة، ص 35.

⁸⁴ المرجع السابق، ص 200.

⁸⁵ المرجع السابق، ص 211.

⁸⁶ ابن الأبار، المعجم، ص 62، و التكملة، ج 1، ص 174-175. نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 10.

⁸⁷ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 187.

⁸⁸ ابن قنفذ، الوفيات، ص 53. الديباج المذهب، ص 79-80.

⁸⁹ ابن قنفذ، الوفيات، ص 310، وانظر نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 153.

⁹⁰ المرجع السابق، ص 48، انظر معجم أعلام الجزائر، ص 166.

⁹¹ تعريف الخلف، ج 2، ص 2.

⁹²نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص141.

⁹³الزركلي، الأعلام، ج5، ص331.

⁹⁴التنكي، نيل الابتهاج، ص323.

⁹⁵فهرس الفهارس و الأثبات، ط2، تحقيق: د.إحسان عباس، بيروت: دار الغرب، 1402هـ\1982م، ج1، ص54.